مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد-P 7163 – 1112
ردمد-E 1892 – 2588
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

إستراتيجيّة الخطاب الإقناعي في أرجُوزة " تعليم البنت" لمحمّد البشير الإبراهيمي

سفيان مطروش[1]، سليمان بن سمعون[2]

1- كلية الآداب و اللغات، طالب دكتوراه قسم اللغة و الأدب العربي. جامعة غرداية .الجزائر
ص ب:455 طريق المطار غرداية 47000.الجزائر
metrouche88@gmail.com

2- كلية الآداب و اللغات، أستاذ محاضر (أ) قسم اللغة و الأدب العربي. جامعة غرداية .الجزائر
ص ب:455 طريق المطار غرداية 47000.الجزائر
dr-bslimane@yahoo.fr

ملخّص-

نسعى من خلال هذه الورقة البحثيّة، إلى اكتشاف بعض آليّاتو تِقنيّات الحِجاج الموجودة في الخطاب الشّعري لدى محمّد البشير الإبراهيمي، و بالتّحديد في أرجوزة "تعليم البنت"، التي أرسلها إلى بعض علماء (نَجْدْ) مُحاولًا إقناعهم بضرورة تعليم البنت. و من منطلق خصوصيّة الخطاب الشّعري و مكانة كل من المرسِل و المرسَل إليه؛ نطرح تساؤلا مفاده: **ما هي أدوات و آليّات الإستراتيجيّة الإقناعية التّي وظّفَت في الأرجوزة؟.**

الكلمات المفتاحية-

إستراتيجيّة ، خطاب إقناعي، خطاب شِعري، محمّد البشير الإبراهيمي.

Mohammed El Bashir El Ibrahimi Persuasive Speech Strategy In Rajazpoem « Teaching The Girl »

Abstract :

We Seek In This Research Paper, To Explore Some Mechanisms And Argumentative Techniques Found In The Poetry Speech Of El Bashir El Ibrahimi, Especially The Rajazpoem « Teaching The Girl » Sent To Najd Scholars, Trying To Convince Him For Teaching The Girl.
Due To The Poetry Speech Specificity And The Status Of Both The Sender And The Receiver, Weask The Following Question:
What Are The Tools And The Mechanisms Of This Persuasive Speech Developed In This Rajazpoem ?.

Key Words :
Strategy, Persuasive Speech, Poetry Speech, Mohammed El Bashir El Ibrahimi.

مقدّمة-

الحمد لله ربّ العالمين و الصّلاة و السّلام على سيّد المرسلين، و على آله و صحبه الطّاهرين و بعد،

لا شكّ أن أيّ مرسل لخطاب معيّن ، يسعى دوما عن طريق خطابه،إلى تحقيق مجموعة من الغايات و الأهداف و لعلّ من أبرزها إقناع المرسل إليه، من أجل تبنّي اعتقاد ما أو العُدُول عن آخر، و من أجل تحقيق هذه الغاية لا بدّ أن يراعي المرسل « إستراتيجية تداوليّة تشتقّ طبيعتها و اسمها من هدف الخطاب، يمكن أن نسمّيها إستراتيجيّة الإقناع »[1] ؛ و لكي تتمّ هذه الإستراتيجية بنجاح لا بدّ من توفّر مجموعة من الآليّات اللغوية و المنطقيّة، التّي يعتبر الحجاج من أهمّها؛« لأنّه عمل عقلي في ممارسته، لكنّه يعتمد على

اللغة في تمثيله، ممّا يسهم في استثمار قالبَيْ المنطق و اللّغة بالدّرجة الأولى، و هما القالبَان الأساسيّان في كلّ عمليّة لغويّة، و في ذلك ما ينزع إلى تغيير المعتقدات، بل و توجيه الذّهن صوبَ وجهة محدّدة»[2] ؛ كما يمكن أن « تزدوج أساليب "الإقناع" بأساليب "الإمتاع" فتكون، إذ ذاك، أقدر على التّأثير في اعتقاد المخاطَب، و توجيه سلوكه لما يهبُها هذا الإمتاع من قوّة في استحضار الأشياء، و نفوذ في إشهادها للمخَاطَب ».[3]

كما أنّ« الشّعر أكثرُ تداوليةٍ من اللغة العاديّة، و له قوانين خاصّة إلى جانب القوانين العامّة للّغة الطبيعية »[4] ، فأساليب الشّعر « تتنوّع بحسب مسالك الشّعراء في كل طريقة من طرق الشّعر»[5] و لهذا يُعتَبر الخطاب الشّعري في حدّ ذاته «إستراتيجيّة تلفّظ ».[6]

إذ يبني الشّاعر كلامه اعتمادا على و سيلتي المحاكاة و التّخييل « و له مع ذلك أن يذهب مذهب الخطيب في الاحتجاج و الإقناع و الحرصِ على التّرابط و الانتظام في الأفكار».[7]

فالفنّيات التي يستند إليها الشاعر من أجل الإقناع، تختلف من نصٍّ إلى آخر و من شاعر لآخر،« و لكنّها تؤكّد على كلّ حال أنّ الحِجاج لا يعني حشد الحُجج و ربط مفاصل الكلام و تعليق بعضه بالبعض الآخر فحسب، بل يعني كذلك جملة من الاختيارات الأخرى على مستوى المعجم و التّركيب، اختيارات تراعي غاية الخطاب و تستجيب لعلاقة الشاعر بالمتلقّي و تلائم وضع المتلقّي و مقتضيات المقام».[8]

و قد أدركَ الشّيخ الإبراهيمي[9] العديدَ من هذه الفنّيات و الخصائص، و وظّفها في أرجوزته " تعليم البنت"[10] الموجَّهة إلى بعض علماء (نَجدْ)، حيث أراد من خلالها أن يُحاجِجَهم و يُقنِعهم بضرورة تعليم البنت المسلمة؛ لأنّهم كانوا يعدُّون هذا الأمر منكرًا في رأيهم. فاستعمال الإبراهيمي

للخطاب الشّعري دون النّثري في حدّ ذاته إستراتيجيّة تخطابية، فالرّجز نمط «من أنماط الشّعر العربي القديم، حيث يشكّل أبرز مظاهر الشّعرية العربية، و يُنظَر إليه عادةً باعتباره من الأصول الأساسيّة لإبداعنا الشّعري» [11]، و يُعرَف عن الإبراهيمي أنّه إذا « كتب أو حاضر كان حريصا على شيئين:أحدهما غاية، و الآخر طريق إلى تحقيق هذه الغاية» .[12]

و من منطلق تعريف الحِجاج بأنّه: « تقديم الحُجَج و الأدلّة المؤدّية إلى نتيجة مُعيّنة، و هو يتمثّل في إنجاز تسلسلات استنتاجيّة داخل الخطاب»[13] ؛ نطرح السؤال الآتي: **ما هي أدوات و آليّات الحِجاج التّي وُظِّفَت في الأرجوزة؟.**

- آليّات الحِجَاج في الأرجوزة:

1- الدّور الحِجاجي للعنوان:

غالبًا ما يوظَّف العنوان كأداة حجاجيّة، يستعين بها المرسل في تلخيص ما سيطرحه من أفكار؛ لأنّه يلعب دور «المحور الذي يتوالدو يتنامى و يعيد إنتاج نفسه، و هو الذّي يحدّد هويّة القصيدة» .[14]

و أمّا عن الطّبيعة الحِجاجية لعنوان الأرجوزة التي بين أيدينا تتجسّد في أنّ المرسل قدّمه على أنّه انعكاس لقصده؛ أي لا بدّ من تعليم البنت، و على أنّه ملخّص لمخطّطه الحجاجي الذي سيعرضه لاحقا،في ثنايا قصيدته التي تعتبر تمديدا لهذا العنوان.

2- الأدوات اللّغويّة:

2- 1- ألفاظ التّعليل:

هي من الوسائل اللغويّة التي يستخدمها المرسل في عملية بناء حُجَجِه ، ومن تطبيقاتها في الأرجوزة:

2- 1- 1- الأداة " لأنّ":

يهْجُرُهَا بَعدَ غَدٍ فِيمَنْ هَجَرْ لأنّـــهَا فِي رَأيهِ مِثْلُ الحَجَرْ

و يَصْطفِي قَرينَةً منَ الغَجَرْ لأنَّـــهَا قَارِئَـــةٌ مِثْلَ البَشَرْ

نجد في البيت الأوّل؛ أنّ المرسل قد برّر سبب هُجران الشّاب المسلم للشّابّة المسلمة،من قِبَل الصورة المكوَّنة عنها لديه و هي صورة التّخلف، بينما برّر في البيت الثّاني سبب إقبال الشّاب المسلم على الفتاة الغربيّة، انطلاقا من الخلفيّة الموجودة لديه عن المرأة الغربيّة المتعلّمة و المتحضّرة.

2- 1- 2- الأداة "كي":

استعمل المرسل هذه الأداة ، عند تبريره سبب مواصلة الابن لمسيرة أبيه:

عَلى الأذَى فكَانَ عُقْبَاهُ الظَّفَرْ والابنُ وَالىَ السَّقْيَ كَيْ يَجْنِيَ الثَّمَرْ

2- 1- 3- الوصل السّببي :

« هو أن يعمدَ المرسل إلى الرّبط بين أحداث متتابعة، مثل الرّبط بما يمكن أن يكون المقدّمة و النّتيجة، فتصبح النّتيجة مقدّمة لنتيجة أخرى»[15] ؛ إذ توجد هذه الآليّة بشكل جليّ في جميع مراحل القصيدة تقريبا، نُورِد منها مقطعًا بارزا فقط، و هو عند قوله:

لا تَنْسَ (حَوَّا) إنَّها أُخْتُ الذَّكَرْ ⇦ تَحْمِلُ ما يَحْمِلُ مِن خَيرٍ وشَرْ

تُثْمِرُ ما يُثمِرُ مِنْ حُلوٍ ومُرْ ⇦ وَكَيْفَما تَكوَّنَتْ كَانَ الثَّمَرْ ⇦

وكُلُّ ما تَضَعُهُ فِيهَا استَقَرْ

وإنَّهَا إنْ أُهْمِلَتْ كَانَ الخَطَرْ ⇦ كَانَ البَلاَ ⇦كَانَ

الفَنَا ⇦ كَانَ الضَّرَرْ

ومَنْعُهَا من الكِتَابِ والنَّظَرْ ⇦ لَم تَأْتِ فِيهِ آيَةٌ ولا خَبَرْ

⇩ ومَن يَقُلْ في عِلمِهَا غَيٌّ وَشَرْ ⇦ فَقُلْ لَه هِيَ مَعَ الجَهْلِ أَشَرْ.

نلاحظ تدرّجًا في عرض الأدلّة وفقَ تسلسل منطقي، بدأه بالتّذكير أنّ البنت أخت الذّكر، و انتهى إلى أنّ الشّر الذي يُجنَى من جهل الفتاة هو نتيجة لمنعِها من التّعلّم، كما قد يرِد الوصل السّببيّ « في التّراكيب الشّرطيّة الظّاهرة، و ذلك أدعى لتوليد حججٍ جديدة ذات صلة بالحجّة الأولى»[16] ؛ و مثالها في القصيدة: **وأنَّهَا قَارِئَةٌ ولا مَفَرْ ⇦ إنْ لَمْ يَكُنْ عَنْكَ فَعَنْ قَومٍ أُخَرْ**

و اعلَمْ بِأنَّ نشأَنَا إذا كَبِرْ ⇦ عَافَ الزّواجَ بابْنَةِ العَمّ الأغَرْ

فتسلسل الحجّة في البيت الأوّل، أنّ تعلّم البنت كائنٌ و لو بعد حينٍ، سواءٌ في وطنها العربيّ أم في الوطن الغربيّ، و أمّا تسلسلها في البيت الثّاني؛أنّ الشّاب العربيّ المسلم أصبح يتهّرب من الزّواج ببنت عمّه غير المتعلّمة.

2- 2- الأفعال اللّغوية:

2- 2- 1- الاستفهام:

من أمثلته في الأرجوزة نجد:

فكَيفَ يَرْضَى عَاقِلٌ أنْ تستَمِرْ مَزيدَةً على الحَواشِي والطُّرَرْ

و في أبيات ثلاثة أخرى متتابعة، قوله:

هَلْ أمَّةٌ مِنْ الجَمَاهِير الكُبَـرْ فِيمَا مَضَى مِنَ القُرونِ وحَضَرْ

خَطَّتْ مِنَ المجْدِ وَمِن حُسْنِ السِّيَرْ تَارِيْخَـــهَا إلاّ بِأُنْثَى وذَكَرْ؟

ومَـن يَقُلْ في عِلـمِهَا غَيٌّ وَشَـــرْ فَقُلْ لَه هِيَ مَعَ الجَهْلِ أَشَـرْ

طرح الإبراهيمي، مجموعة من التّساؤلات نابعة ممّا يمتلكه من خلفيّة عن المتلقّي، حيث استقرأ مجموعة من الاحتمالات عن طريق توظيف المنطق و

التّاريخ ..، و هذا ظاهرٌ جليّ في بعض المفردات، من مثل: **(الحواشي و الطرّر، مضى من القرون، المجد، السير، ، غيّ و شرّ،...).**

«فهي مسلّمات يعرفها كل من طرفي الخطاب، و هذا ما يجعله يختار هذا الضّرب من الحِجاج دون غيره»[17] ، و بالتّالي يصبح « الاستفهام هنا، هو الحُجَج ذاتها» .[18]

2- 2- 2- النّفي:

يُستعمل "النّفي" كأداة لغويّة للإقناع، و منه في القصيدة على سبيل المثال: **"فَلَسْتُ أنْسَى فَضْلَهُ"،"وَلَستُ أنْسَى وَصْلَهُ"،" لا أحْصُرُهُمْ "، "وَلاَ أَرْفَعُهُمْ"، " وَلا أنَالُ وَاحداً مِنْهُم"،" لَم تَأْتِ فِيهِ آيَةٌ وَلا خَبَرْ"، " تَارِيْخَهَا إلاّ بِأُنْثَى وذَكَرْ"، " وأنَّهَا قَارِئَةٌ وَلا مَفَرْ"،...).**

2- 3- الحِجاج بالوصف:

2- 3- 1- الصّفة:

تمّ الاعتماد على هذه الآليّة الحِجاجية في أغلب أبيات الأرجوزة، نذكر منها: **(الطُّهْرِ، الغُرَرِ، المُقْتَفِيْنَ، الصَّالِحينَ، الأبَرْ، حَادِي الزُّمَرْ،...).**

2- 3- 2- استعمال أسماء الأعلام:

توظيف أسماء الأعلام و الألقاب في الخطاب من الآليّات التي يمكن أن تجسّد سمة على طبقة الحِجاج، إذ تعتبر ألقاب القرابة من أهم تلك الآليّات،« بوصفها تنتمي إلى سلّميّة ذات درجات، فيختار المرسل منها ما يرى أنّه يجسّد قرابته بغيره في الخطاب، ليُحاجِج من خلالها، بالإضافة إلى دلالتها على التّضامن»[19] مع المرسل إليه، و المرسل بدوره لم يغفل هذا الجانب الحِجاجي المهمّ، حيث وظّف مجموعة من الأسماءو الألقاب في مطلع قصيدته، كاستهلال برّرَ من خلاله مكانة المرسل إليه عنده: **(أحمَدٍ ، عَلِيٍّ ، عُمَرْ،**

الخُلفَاءِ الصَّالِحينَ، عبد اللطيف المرتَضَى، الشَّيْخ، الإمَام، مُحمَّدٌ، مصر، الشّام...).

و دائما ما يوظّف المحاجِج معجمًا عاطفيّا« المراد منه كسب تعاطف الآخر و استمالته لاقتسام وجهة النّظر، تصوّغ هذا المعجم عبارات صريحة دالّة على حالة موحية بانفعاله و صدق ارتباطه بالأطروحة المقترحة»[20]، و دليله في القصيدة استعمال لفظ (الأخ) في بعض الأحيان، ليزداد تقرّبا من المرسل إليه، و تضامنا معه: ("مِنْ بَينِهِمْ أخٌ ظهَرْ"،" فَيَا أخًا عَرفْتُهُ"، ويَا أخًا جَعَلتُهُ"،"فَلا أقُولُ في أخِي").

2- 3- 3- استعمال اسم الفاعل:

احتوت القصيدة مجموعة من أسماء الفاعل ساهمت في تنسيق العمليّة الإقناعيّة، من بينها: (قَائِدٍ، تَاجِرٌ ، عَاقِلٌ، جَالِبٌ، جَارِفٌ، قَارئةٌ، صَاحِبٍ...).

2- 3- 4- استعمال اسم المفعول:

و من توظيف الاسم المفعول في القصيدة، نجد: (مَحْلُولُ، ضعِيفٍ ، مَزِيدَةً ...).

2- 4- تحصيل الحاصل:

2- 4- 1- توظيف المثَل:

تضمّنت الأرجوزة تمثيلا واحدا، في البيت رقم (65):"مَنْ قَالَ قِدْماً (بِيَدِي ثُمَّ انْتَحَرْ)"، فيه إشارة إلى المثال التاريخي الشّائع عند العرب: (بيدي لا بيدِ عمرو)؛ و هذا الضّرب من التّمثيل يُطلِق عليه طه عبد الرّحمان تسمية: «المحاورة البعيدة أو "التّناص"».[21]

«فالمثال التّاريخي، هو مثال واقعي يَروي الأمور التّي حدثت من قَبل للإقناع بدعوى ما، كما يستمدّ قوّته الإقناعية من عدّة سمات أو مواضع»،[22]؛ يمكن أن نوضّحها في التّرسيمة التالية:

واقعة تاريخية حدثت في الماضي= قيمة حِجاجيّة

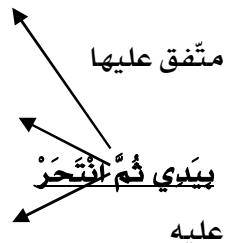

سمة الاستباق = قيمة حِجاجيّة

إمكانية الحدوث مرّة أخرى

↕

مبدأ التّكرار يمنحه القوّة الإقناعيّة

2- 4- 2- تكرار بعض الألفاظ:

«في كثير من الأحيان يلجأ المحاجّ إلى المسالك الحجاجية الضاغطة من مثل "التّكرار" لتعزيز الحُجَّة»[23]، و عند النّظر في استعمال آليّة التّكرار في الإقناع نجد أنواعا مختلفة منه يفترق تأثيرها في الخطاب، إذ « يقوم بدور كبير في الخطاب الشّعري أو ما يشبهه من أنواع الخطاب الأخرى الإقناعية»[24]؛ و يعدّ التّكرار اللّفظي أوّل تلك الأنواع، لما له من « دور حِجاجي هامّ متى اُعتُمِد في سياقات محدّدة و توفّرت فيه شروط معيّنة، فتكرار اللّفظة ذاتها في أكثر من موضع يُعدّ من أفانين القول الرّافد للحِجاج المدعِّمة للطّاقة الحِجاجية في الدّليل أو البرهان لما له من وقع في القلوب» [25]،لأنّ " العناية باللّفظ لا تنفصل عن إستراتيجيّة الإقناع».[26]

و تزخر القصيدة بتكرار بعض المفردات بدرجات مختلفة، إذ لعبت دورا مهمّا في دعم القوّة الإقناعية: (**البَشَرْ:**(03مرّات) **أثر:**(04مرّات) **نشر:**(04مرّات) **الزُّمَرْ:**(03مرّات) **الجيش:**(05مرّات) **خَطَرْ:**(03مرّات) **ضَرَرْ:**(03مرّات)...).

3- الآليّات البلاغيّة:

3- 1- تقسيم الكلّ إلى أجزائه:

«قد يذكُر المرسِل حجّته كليّا في أوّل الأمر، ثم يعود إلى تفنيدها و تعداد أجزائها، إن كانت ذات أجزاء، و ذلك ليُحافظ على قوّتها الحِجاجيّة، فكلّ جزء منها بمثابة دليل على دعواه»[27] ، و مثاله في الأرجوزة ما ذكرناه سالفًا ضمن آليّة الوصل السبّبي.

3- 2- توظيف الاستعارة:

«الاستعارة من الوسائل اللّغوية التي يستغلّها المتكلّم للوصول إلى أهدافه الحِجاجيّة، بل إنّها من الوسائل التي يعتمدها بشكل كبير جدّا»[28] ، و المرسِل بدوره وظّفها في كثير من مواضع قصيدته،إدراكًا منه لخاصّيتها الحِجاجية، و من أمثلتها:(**" و كَتَبَ الشَّيبُ على الرَّأسِ النُّذُرْ"، " قادَ جُيُوشَ العِلمِ لِلنَّصْرِ الأغَرْ"، " مُحنَّكٍ طوَى الزَّمانَ ونَشَرْ "،" واركَبْ جوادَ الحَزمِ فالأمْرُ خَطَرْ "،" تُثْمِرُ ما يُثمِرُ مِنْ حُلوٍ وَمُرْ"،"تُرضِعُهُ أخْلاقَهَا مَع الدِّرَرْ"،" مِنْ أُمَّةٍ قَدْ شَلَّ نِصْفَهَا الخَدَرْ"...**).

3- 3- توظيف التّمثيل/ التّشبيه:

«هو عقد الصّلة بين صورتين، ليتمكّن المرسل من الاحتِجاج و بيان حُجَجه»[29] و من أمثلته في القصيدة:(**"كَأنَّني خَرَجْتُ عَن طورِ البَشَرْ"،" كَالسُّورِ يَعلُو حَجَراً فَوقَ حَجَرْ"،" تَنَاسُقٌ كالرِّبطِ ما بينَ السُّوَرْ "،" لأنّهَا فِي رَأيِهِ مِثْلُ الحَجَرْ"،" لأنَّهَا قَارِئَةُ مِثْلَ البَشَرْ"،...**).

3- 4- تقنية البديع:

يستخدم المرسل أصنافا لغويّة تُعدّ بأنّها« أشكال تنتمي إلى المستوى البديعيّ، و أنّ دورها يقف عند الوظيفة الشّكلية، و هذا الرّأي ليس صحيحا؛ إذ إنّ لها دورًا

حِجاجيا لا على سبيل زخرفة الخطاب، و لكن بهدف الإقناع و البلوغ بالأثر مبلغه الأبعد» .[30]

3- 4- 1- المحسّنات اللّفظية:

3- 4- 1- أ- الجناس:

من أمثلته:(**الأَشَرْ /البَشَرْ**)،(**عَشَر / البشرْ**)،(**بِشَرْ /نَشَرْ**) ...

3- 4- 1- ب- السّجع:

تطغى ظاهرة السّجع على جميع أجزاء الأرجوزة: (**الأَشَرْ/البَشَرْ**)، (**الصِّغَرْ/سَفَرْ**) (**نَفَرْ/بِسَحَرْ**) ،(**سَحَرْ /اعْتَكَرْ**)، (**البُكَرْ /انْكدَرْ**)، (**ابْتَدَرْ/الكِبَرْ**)،(**الخَبْرْ /النُّذُرْ**) (**مُزْدَجَرْ /حَجَرْ**)....

3- 4- 2- المحسّنات المعنويّة:

3- 4- 2- أ- الطِّباق:

من أمثلته:(**بدوٍ/حَضَرْ**)،(**نَهَى/ أمَرْ**)،(**خَيرٍ/ شَرْ**)،(**حُلوٍ/مُرْ**)، (**أُنْثَى/ذَكَرْ**) (**العلم/ الجَهْلِ**) ،(**الصَّفْوُ/ الكَدَرْ**)،(**البَدوُ/ الحَضَرْ**)....

3- 4- 2- ب- توظيف تقنية التّضمين:

عادَة ما توجد « تراكيب جزئيّة أو جمل تامّة يأخذها الشّاعر الإسلامي من القرآن أو الحديث فيُضَمِّن كلامه هذه التّعابير الخاصّة، من غير أن يصرّح بأنّها من القرآن أو الحديث و غايته من ذلك أن يستعير من قوّتها قوّة و أن يكشف عن مهارته في إحكام الصّلة بين كلامه و الكلام الذي استعاره»[31] ؛ و من أمثلة ما ذُكِر في الأرجوزة، ما يلي: (**الأَشَرْ، انْكدَرْ، النُّذُرْ، مُزْدَجَرْ، الزُّمَرْ، الوطَرْ /نَفَرْ، بِقَدَرْ، العزيزِ المُقتَدِرْ، سَقَرْ/ وَزَرْ، الكُبَرْ، يَصْطفِي...**).

4- توظيف وسائل السُّلّم الحِجاجي:

يوظِّف المرسل السُّلَّم الحِجاجيّ « في المراتب الموجّهة توجيهًا كمّيا، إذ يكمُن السُّلّم في ترتيب الألفاظ، من الأدنى إلى الأعلى أو العكس»[32] و قد

عرّفه طه عبد الرحمان، بأنّه: « عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزوّدة بعلاقة ترتيبية و مُوفِية بالشّرطين التّاليين:

أ- كلّ قول يقع في مرتبة ما من السّلّم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطّرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ب- كلّ قول كان في السُّلّم دليلا على مدلول معيّن، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه»[33] ، كما حدّد له ثلاثة قوانين، هي:[34]

1- قانون الخفض 2- قانون تبديل السّلّم 3- قانون القلب.

4- 1- الوسائل اللّغوية:

4- 1- 1- الرّوابط الحجاجية:

«إنّ الرّوابط و العوامل الحجاجيّة هي المؤشّر الأساسي و البارز، و هي الدّليل القاطع على أنّ الحجاج مؤشِّر له في بنية اللغة نفسها».[35]

- الأداة"حتّى":

وظّفت هذه الأداة في الأرجوزة مرّة واحدة، فقط، عند قوله:

دَيـنَ الهُدَى وذَبَّ عَنهُ وَنَفَـرْ لِعِلْمِهِ وَفقَ الدَّليل المُستَطَرْ
حَتَّى قَضَى من نُصْرة الحقِّ الوطَرْ هُم شِيْعَتِي في كُلِّ ما أَجْدَى وَضَرْ

حيث تكلّم عن المكانة العلميّة التي يتميّز بها المرسل إليه، ثمّ ما قدّمه من خِدْمات للدِّين، و بعدها ذكر المرسل الفرقة التي ينتسب إليها، و فق ترتيب تصاعدي، يمكن أن نمثّل له في الشّكل التّالي:

هُم شِيْعَتِي في كُلِّ ما أَجْدَى وَضَرْ

قَضَى من نُصْرة الحقِّ الوطَرْ

حتّى

لِعِلْمِهِ وَفقَ الدَّليل المُستَطَرْ

«فالأداة "حتّى" تقدّم الحجّة القويّة باعتبارها الحجّة الأقوى من كل الحُجَج، و باعتبارها الحُجّة الأخيرة التي يمكن تقديمها لصالح النّتيجة المقصودة».[36]

4- 1- 2- السّمات الدّلالية:

- قانون الخفض:

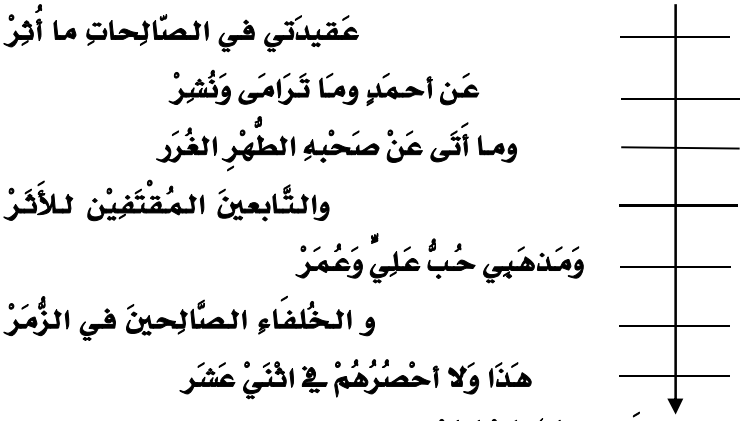

نلاحظ ذلك النّزول في ذكر مذهبه و عقيدته عند المرسل، بدأها بالنّبي ﷺ، ثمّ صحابته و التّابعين، مرورا بنفيه لمذهب الاثني عشريّة، وصولا إلى انتسابه إلى مذهب المرسل إليه.

4- 1- 3- درجات التّوكيد:

من استعمالات التّوكيد في الأرجوزة، نجد:("**وَاتْبَعُ الظّبْيَ إذا الظّبي نَفَرْ**"، " **أقْطَعُ اللّيلَ إذا اللّيلُ اعْتَكَرْ**"،" **تَحْمِلُ ما يَحْمِلُ مِن خَيرٍ وشَرْ**"، " **تُثْمِرُ ما يُثمِرُ مِنْ حُلوٍ وَمُرْ**"،" **وإنَّهَا إنْ أُهْمِلَتْ كَانَ الخَطَرْ**"،" **كَانَ البَلاَ كَانَ الفَنَا كَانَ الضَّرَرْ**"،" **وأنَّهَا قَارِئَةٌ ولا مَفَرْ**"،"**لأنّــهَا فِي رَايِهِ مِثْلُ الحَجَرْ**"، " **لأنَّهَا قَارِئَةُ مِثْلَ البَشَرْ**"،...).

4- 2- آليّات السُّلّم الحجاجي:

4- 2- 1- التّعدية:

«هي ترتيب الأشياء في سلّم، بعقد العلاقة بينها، رغم عدم وجود هذه العلاقة قبل التّلفظ بالخطاب»[37] ، و أسماء التّفضيل بدورها واحدة من أنواع التّعدية: و مثلها في الأرجوزة:(**الأبَرْ/ الأغَرْ...**).

4- 2- 2- صيغ المبالغة:

تستعمل صيغ المبالغة كأداة حجاجيّة« باعتبارها أوصافًا تستلزم فعلا معيّنا ذات درجات سلميّة، إذ ليس المهمّ، في الحِجاج التّصنيف فحسب، بل المهمّ دلالة التّصنيف» .[38]

صُنعٌ مِنَ اللهِ العزيزِ المُقتَدِرْ خَلٌّ الهُوَيْنَى للضعيفِ المحْتَقَرْ

4- 2- 3- فحوى الخطاب:

من أبرز تجليّات الحِجاج عبر السُّلَّم الحِجاجي « ما يكون بدلالة فحوى الخطاب، و هذا يتضمّن التّلفظ بالدّرجة العليا في السّلّم و نفي ما عداها ضمنًا، كما قد يكون ترتيب الحجّة ضمنيّا، و ذلك بتوظيف المعرفة المخزونة و السّابقة، و مناسبتها للسيّاق» .[39]

تُثْمِرُ ما يُثمِرُ مِنْ حُلوٍ وَمُرْ

تَحْمِلُ ما يَحْمِلُ مِن خَيرٍ وشَرْ

لا تَنْسَ (حَوَّا) إنَّها أُخْتُ الذَّكَرْ

«و الإشاريّات الشّخصيّة من الأدوات اللغويّة التي يستعملها المرسل في السُّلَّم الحجاجيّ بالمفهوم، بأنّ يجعل ذاته في أعلى مرتبة، فيهمّش ما عداه لحظة التلفّظ»[40]، و أمثلته في القصيدة عديدة، منها: **(قَدْ كُنتُ/ كَأنَّني خَرَجْتُ/ ارْعَوَيْتُ/بَاكَرَني /فَلَسْتُ انْسَى/ أكْسَبَني /طَبَعَني /عَقيدَتي /قَائِدي/ مَذهَبي/أنَالُ /شِيْعَتِي /مَعْشَرِي /عُصْبَتِي/خُلَّتِي...)**.

4- 2- 4- حجّة الدّليل:

«الحُجج الجاهزة أو الشّواهد هي من دِعامات الحِجاج القويّة، إذ يضعها المرسل في الموضع المناسب، و هنا تتبدّى أهليته و براعته في توظيفها حسب ما يتطلّبه السّياق»[41] ، و قد وُجد في القصيدة مرّة واحدة، كما سبق لنا ذكره في آليّة التّمثيل.

كما أنّ قوّة ما « قد تقف في ترتيبها الحِجاجيّ عند حدّ السّند، و لا يتجاوز طرف الخطاب النّظر إلى بنيتها أو قصد المرسل، إذ تكتسب الحُجج قوّتها من قوّة مصادرها»[42] ، و هذا ما استخدمه المرسل عندما استند إلى مصدرين من مصادر التّشريع، هما القرآن الكريم و السنّة المطهّرة، بقوله:

ومَنْعُهَا من الكِتَابِ والنَّظَرْ لَم تَأْتِ فِيهِ آيَةٌ ولا خَبَرْ

5- توظيف المستوى الموسيقي:

تلعب موسيقى الألفاظ دورا مهمّا في العمليّة الحجاجيّة، نظرا لما« تحقّقه من تأثير في المتلقّي لاضطلاعها بدور خطير هو توفير التّكافؤ في مستوى البنية الخارجية،إذا تعلّق الأمر بموسيقى الإطار؛أي بالوزن و القافية باعتبار التّفعيلات، و القافية ليست سوى وحدات تتشابه و تتعاقب و في مستوى البنية الدّاخلية حين يعمَد الشّاعر إلى ترصيع أو تصريع أو جناس أو موازنة ...».[43]

و تغلب ظاهرة "التّصريع"،على جميع أبيات الأرجوزة؛إذ حرف (الرّاء السّاكن) هو حرف الرّوي، و نوع القافية مقيّدة،و لهذا ربّما جاز لنا تسمية الأرجوزة بـ"رائيّة الإبراهيمي"، و هي من "الرّجز المزدوج" منسوجة على فواصل آي سورة القمر:(**الأَشَرْ/البَشَرْ**)،(**الصِّغَرْ/سَقَرْ**)، (**نَفَرْ/بِسَحَرْ**)،(**سَحَرْ /اعْتَكَرْ**)،(**البُكَرْ /انْكدَرْ**)، (**ابْتَدَرْ/الكِبَرْ**)،(**الخَبَرْ /النُّذُرْ**)،(**مُزْدَجَرْ /حَجَرْ**)،(**هَجَرْ /الشَّجرْ**)...

« ريثما يستقيم الصّوت فينساب انسيابا، و يغدو هو كلّ شيء في الخطاب و لا شيء سواه» .[44]

6- السّجل اللّغوي و الثّقافي للمخاطب:

ذكر ابن رشيق أنّ« الشّاعر مأخوذ بكلّ علم، مطلوب بكلّ مكرمة، لاتّساع الشّعر و احتماله كل ما حمل:من نحو، و لغة، و فقه، و خبر، و حساب، و فريضة »[45] ، و هذا ما كشفه المعجم الذي استخدمه الإبراهيمي في العمليّة الاقناعيّة، أين « تتكاتف ضروب من ثقافته اللغوية و الفقهية على صياغة بعض المواقف، و التّعبير عن بعض الآراء»[46]، من مثل: **("عَقيدَتي"،"سِيَرِ أَعلامُها"، " ما أَتَى عَنْ صَحْبِهِ"،" التَّابعينَ "،"آيٌ وأَثَرْ "،"صَحَّ بَرَاوٍ"، "مَذهَبي حُبُّ عَلِيٍّ وَعُمَرْ"،" الخُلفَاءِ الصَّالِحينَ"،" لا أحْصُرُهُمْ في اثْنَيْ عَشَر"،" وَفقَ الدَّليل المُستَطَرْ"،"بِمَا نَهَى مُحَمَّدٌ ومَا أمَرْ"،" الحَوَاشِي والطُّرَرْ"،"لَم تَأْتِ فِيهِ آيَةٌ ولا خَبَرْ"،...).**

و هذا التوظيف من أهمّ ضوابط التّداول الحِجاجيّ؛«لأنّه بدون ذلك الرّصيد المعرفيّ لن يستطيع إيجاد دعوى أو تبنّي اعتراض معيّن، فتعُوزه الحيلة للدّفاع عمّا يراه، كما تعُوزه الحيلة في بناء خطابه و اختيار حُجَجِه» .[47]

❖ خاتمة:

لقد استطاع الإبراهيمي،أن يوظّف في أرجوزته مُعظم وسائل الإستراتيجيّة الحِجاجيّة،مستحضرا العوامل السياقية التي صاحبت إنتاج خطابه،و مراعيًا خصوصيّة متلقّي رسالته،مستندا بذلك على بضاعته اللغوية،و هذا ليس غريبا من رجل ملكَ ناصيّة اللغة العربية.

مراجع البحث-

1- أبو الحسن حازم القرطاجني، **منهاج البلغاء و سراج الأدباء**؛ تح:محمد الحبيب ابن الخوجة، (ط3، الدار العربية للكتاب، تونس:2008م).

2- أبو بكر العزاوي، **اللّغة و الحِجاج**،(ط1،الدار البيضاء(المغرب): 1426هـ/2006م).

3- أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشّعر**؛ تح:محمد محي الدّين عبد الحميد، (ط5، دار الجيل، سوريا: 1401هـ/1981م)،ج01.

4- أمينة الدهري، **الحجاج و بناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة**،(ط1، المدارس للنشر، الدّار البيضاء(المغرب): 1432هـ/2011م).

5- حسن المودن، **بلاغة الخطاب الإقناعي "نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب"**،(ط1، دار كنوز المعرفة،عمان (الأردن): 1435هـ/2014م).

6- سامية الدّريدي، **الحِجاج في الشّعر العربي بنيته و أساليبه**، (ط2، عالم الكتب الحديث،إربد (الأردن): 1432هـ/2011م).

7- طه عبد الرحمان، **أصول الحوار و تجديد علم الكلام**،(ط2، الدار البيضاء (المغرب): المركز الثقافي العربي: 2000م).

8- ــــــــــ، **اللّسان و الميزان أو التّكوثر العقلي**،(ط1، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء (المغرب): 1998م).

9- عبد الهادي بن ظافر الشّهري، **استراتيجيّات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة**،(ط2، عمّان (الأردن): دار كنوز المعرفة، جزءان: 1436هـ/ 2015م).

10- عبد الواسع الحِميري، **ما الخطاب و كيف نحلّله؟**،(ط2، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت (لبنان): 1435هـ/2014م).

11- مجموعة من الباحثين، **الشّيخ البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه**، (دار الأمّة،(الجزائر)، ط2: 1433هـ/2012م).

12- محمد البشير الإبراهيمي، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، جمع و تقديم: نجله أحمد طالب الإبراهيمي،(ط1، دار الغرب الإسلامي؛ (بيروت) لبنان،1997م)؛ و عن دار الوعي (ط5، (الجزائر) : 2016م)،ج04،05.

13- محمد محمد يونس علي، **تحليل الخطاب و تجاوز المعنى "نحو نظريّة المسالك و الغايات"**،(ط1، دار كنوز المعرفة، عمان(الأردن): 1437هـ/2016م).

14- محمد مشبال، **في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات**،(ط1، عمان (الأردن): دار كنوز المعرفة: 1438هـ/ 2017م).

15- محمد مفتاح، **تحليل الخطاب الشّعري"إستراتيجيّة التّناص"**، (ط3، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء(المغرب):1992م).

16- ـــــــــــ، **ديناميّة النّص، " تنظير و انجاز"**،(د ط، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء(المغرب): د ت).

17- المهدي لعرج، **المدخل إلى دراسة الأرجوزة العربية**،(د ط،أفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء (المغرب):2011م).

الهوامش -

---

(1) عبد الهادي بن ظافر الشّهري، **استراتيجيّات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة**، (ط2، عمّان (الأردن): دار كنوز المعرفة: 1436هـ/ 2015م)،ج02، ص 219. و ينظر: مسوّغات استعمال إستراتيجيّة الإقناع، ص220.

(2) **المرجع السّابق**،ج01، ص 302.

(3) طه عبد الرحمان، **أصول الحوار و تجديد علم الكلام**،(ط2، الدار البيضاء (المغرب): المركز الثّقافي العربي: 2000م)، ص38.

(4) محمد مفتاح، **تحليل الخطاب الشّعري" إستراتيجيّة التّناص"**،(ط3، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء(المغرب):1992م)، ص147.

(5) أبو الحسن حازم القرطاجني، **منهاج البلغاء و سراج الأدباء**؛تح:محمد الحبيب ابن الخوجة، (ط3، الدار العربية للكتاب، تونس:2008م)، ص319.

(6) عبد الواسع الحِميري، **ما الخطاب و كيف نحلّله؟**،(ط2، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت (لبنان): 1435هـ/2014م)، ص285.

(7) سامية الدّريدي، **الحجاج في الشّعر العربي بنيته و أساليبه**،(ط2، عالم الكتب الحديث،إربد (الأردن): 1432هـ/2011م)، ص61.

(8) ينظر: **المرجع السّابق**، ص88.

(9) ينظر: سيرته بعنوان "خلاصة تاريخ حياتي العلميّة و العمليّة"،**آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، جمع و تقديم: نجله أحمد طالب الإبراهيمي،(ط1، دار الغرب الإسلامي؛ (بيروت) لبنان،1997م)؛ و عن دار الوعي (ط5، (الجزائر):2016م) ،ج05، ص272- 291.

(10) ينظر: **المرجع السّابق**،ج04، ص131- 134. و يُرَجَّح أنّ هذه الأرجوزة قد أرسلها الإبراهيمي في فترة الخمسينيّات من القرن الماضي،بين سنتي (1952- 1954م)؛ بناءً

على السيّاق التاريخي الذّي صُنّفت على ضوئِه آثاره، كما أنّها تقع في (71) بيتا، و هي من الرّجز المزدوج، و قافيتها مقيّدة.

(11) ينظر: المهدي لعرج، **المدخل إلى دراسة الأرجوزة العربية**،(د ط،أفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء (المغرب):2011م)، ص05.

(12) ينظر: شكري فيصل، مقال بعنوان "قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي"، ضمن كتاب **الشّيخ البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه**، (دار الأمّة، (الجزائر)، ط2: 1433هـ/2012م)، ص168.

(13) أبو بكر العزاوي، **اللّغة و الحجاج**،(ط1،الدار البيضاء(المغرب): 1426هـ/2006م)، ص 16.

(14) محمد مفتاح، **ديناميّة النّص، " تنظير و انجاز"**،(د ط، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء(المغرب): د ت)، ص 72.

(15) الشّهري، **مرجع سبق ذكره**،ج02،ص 261.

(16) **المرجع السّابق**، ص 262.

(17) **المرجع نفسه**، ص 267.

(18) **المرجع نفسه**، ص 268.

(19) **المرجع نفسه**، ص 270.

(20) أمينة الدهري، **الحجاج و بناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة**،(ط1، المدارس للنشر، الدّار البيضاء(المغرب): 1432هـ/2011م)، ص 156.

(21) طه عبد الرحمان، **أصول الحوار و تجديد علم الكلام**، ص47.

(22) ينظر: محمد مشبال، **في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات**،(ط1، عمّان (الأردن): دار كنوز المعرفة: 1438هـ/ 2017م). ص 86- 87.

(23) ينظر:محمد محمد يونس علي، **تحليل الخطاب و تجاوز المعنى " نحو نظريّة المسالك و الغايات"**،(ط1، دار كنوز المعرفة،عمان(الأردن): 1437هـ/2016م)، ص134- 135.

(24) محمد مفتاح، **مرجع سبق ذكره**، ص39.

(25) ينظر: سامية الدّريدي، **مرجع سبق ذكره**، ص168.

(26) حسن المودن، **بلاغة الخطاب الإقناعي "نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب"**،(ط1، دار كنوز المعرفة، عمّان (الأردن): 1435هـ/2014م)، ص 153.

(27) الشّهري، **مرجع سبق ذكره**،ج02، ص 278.

(28) العزاوي، **مرجع سبق ذكره**، ص 105.

(29) الشّهري، **مرجع سبق ذكره**،ج02، ص 282.

(30) **المرجع السّابق**، ص 282- 283.

(31) سامية الدّريدي، **مرجع سبق ذكره**، ص117- 118.

(32) الشّهري، **مرجع سبق ذكره**،ج02، ص 290.

(33) طه عبد الرحمان، **اللّسان و الميزان أو التّكوثر العقلي**،(ط1، المركز الثّقافي العربي،الدّار البيضاء (المغرب): 1998م)، ص277. و ينظر: العزاوي، **مرجع سبق ذكره**، ص20.

(34) **المرجع السّابق**، الصفحة نفسها.

(35) العزاوي، **مرجع سبق ذكره**، ص 55.

(36) **المرجع السّابق**، ص 85.

(37) الشّهري،**مرجع سبق ذكره**،ج02، ص 315.

(38) **المرجع السّابق**، ص 320.

(39) **المرجع نفسه**، ص 320.

(40) **المرجع نفسه**، ص 325.

(41) **المرجع نفسه**، ص 328.

(42) **المرجع نفسه**، ص 338.

(43) ينظر: سامية الدّريدي، **مرجع سبق ذكره**، ص125.

(44) ينظر:عبد الملك مرتاض، مقال بعنوان "خصائص الخطاب في رواية الثّلاثة"، ضمن كتاب الشّيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، **مرجع سبق ذكره**، ص246.

(45) أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشّعر**؛ تح:محمد محي الدّين عبد الحميد، (ط5، دار الجيل،سوريا:1401هـ/1981م)،ج01، ص 196.

(46) ينظر: شكري فيصل، **مرجع سبق ذكره**، ص204.

(47) ينظر: الشّهري، **مرجع سبق ذكره**،ج02، ص 244- 248.